

القاضي عبد الوهاب البغدادي
(ت 422هـ)

تراجم مختصرة لأشهر علماء السادة المالكية

إعداد

هشام نوزري

مركز الإمام مالك الإلكتروني



إعداد

هشام نوزري

طالب بكلية الشريعة فاس- المغرب-

تخصص: الدراسات الشرعية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاءنا بالقرآن كالشمس وضحاها، وبالسنة كالقمر إذا تلاها، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار، وكل من تبعهم بإحسان إلى دار القرار.

وبعد؛

مما لا شك فيه أنه على قدر أقدار الرجال تأتي تراجمهم، وبقدر تأثيرهم يبقى ذكرهم، فسيرتهم العطرة تفوح رائحتها رغم تقادم الزمان وتباعد المكان، ويعظم الأمر إذا كنا أمام إحدى الشخصيات الإسلامية التي تركت أثرا واضحا في الفكر الإنساني عامة، والفكر الإسلامي خاصة، والتي نوقن أنها تدوم بدوامه، وتبقى ببقائه.

وإن الأمم الحية تفخر بماضيها وتاريخها، وتنشر الصفحات المشرقة عنها، وتذكر علماءها الذين آثروا حياتها، لتعرف فضلهم ومآثرهم، وتوجه الأجيال للتأسي بهم، ليكونوا خير خلف لخير سلف، ويتعرفوا على سيرتهم ومناهجهم ليفخروا بهم أمام التاريخ والعالم، وهذا يبعث على البحث والكتابة عن الأئمة الأعلام، والعلماء العاملين، والفقهاء المجتهدين، والسلف الصالح، والقادة الزاهدين.

وربما تكون الترجمة لشخصية ما، من أحوال العصر التي عاشت فيه، سياسية كانت أو اجتماعية أوعلمية أوحضارية، وتأثير ذلك عليها، فماذا عن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي نقول؟



ترجمة القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي

(ت٤٢٢هـ)

المطلب الأول: نبذة عن عصر القاضي عبد الوهاب

المطلب الثاني: اسمه ونسبه

المطلب الثالث: مولده

المطلب الرابع: نشأته

المطلب الخامس: شيوخه

المطلب السادس: تلامذته

المطلب السابع: توليه منصب القضاء

المطلب الثامن: صفاته وفضائله

المطلب التاسع: كتبه ومؤلفاته

المطلب العاشر: وفاته

المطلب الأول: نبذة عن عصر القاضي عبد الوهاب

كما هو معلوم لدى جميع الناس، أن الإنسان ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويتكيف مع ظروفها، ويتجاوب مع أصدائها، وكثيرا ما يتأثر الإنسان بالعصر الذي يعيش فيه، والجو الذي يحيط به، والأحداث التي تفاجئها والتيارات التي تعترضه في حياته، والقاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله عاش أربعة عقود في القرن الرابع، وعقدين في القرن الخامس، وكانت هذه الفترة بالذات تعج بالأحداث الإيجابية والسلبية من عدة نواح، لذا يتوجب علينا أن نعرض صورة مصغرة عنها.

أولا: الناحية السياسية

والمعلوم من طريق المنطوق والمفهوم، أن الدولة الإسلامية بلغت ذروتها السياسية والإدارية في القرن الثاني الهجري، ثم شهدت عمليات المد والجزر في القرن الثالث فانفصلت بعض الأقطار عن مركز الخلافة في بغداد، ثم تسرب التصدي الحقيقي في القرن الرابع، وحل الضعف والتفتت فيها، واستقلت أكثر الولايات عن بغداد، وتوجهت الجيوش بعضها ضد بعض داخليا للتقاتل، كالفاطميين في مصر، والحمدانيين في حلب والموصل، والبويهيين في العراق وفارس، والغزنويين في الأفغان والبنجاب وما وراء النهر، وسيطر بنو بويه على الخليفة، وصار لهم النفوذ المطلق، وامتد حكمهم من سنة 334هـ إلى سنة 447ه. أي طوال حياة القاضي عبد الوهاب، واتصف حكمهم بالشدة والبطش والقسوة واقتطاع الأراضي واقتسام الثروات والأموال،

والاعتداء على الأفراد، والتعدي على سلطان الخلفاء، فضاعت موارد الدولة، وانتشر الفساد، واضطربت الأمور، وظهرت الشكاوى، وعمت الفتن، منها فتنة القرامطة وحركة العيارين الذين مارسوا السطو والنهب والغصب والسرقة، حتى دخل طغرل بك بغداد وقضى على بني بويه وقامت دولة السلاجقة سنة 447ه التي جددت قوة الإسلام، وأعادت وحدته السياسية مع استمرار الحروب الخارجية المشتعلة بين الدول الإسلامية وبين الروم البيزنطيين وغيرهم في الشرق والغرب[1].

ثانيا: الناحية الاجتماعية

كان للناحية السياسية أثرها على الحالة الاجتماعية التي كانت سيئة في كثير من النواحي، فالأمن يكاد أن يكون مفقودا، والفوضى والفساد يعيثان في جنبات بغداد وما حولها، وانتشر اللصوص والقتلة، وظهرت الاضطرابات السياسية والدينية والمذهبية وخاصة في نهاية عهد البويهيين، وكان المجتمع يتألف من ثلاث طبقات، طبقة الخاصة من أصحاب الخليفة وذوي قرباه، ورجال الدولة البارزين كالأمراء والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء والعلماء والأدباء، وطبقة العامة من سواد الناس وباقي أفراد الشعب الذين يتركبون من جنسيات مختلفة، وقوميات متعددة وطبقة العبيد والأرقاء، ويضاف إلى ذلك أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وظهرت بين رجال الحكم والسلطة ومن يلوذ بهم، ويتعلق بأذيالهم النعرات القومية، وامتلأت القلوب بينهم حقدا وضغينة وكراهة وتميزا وانفصالا وتقاتلا وتناوبا على السلطة.

---

[1]- أنظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير، المجلد التاسع، البداية والنهاية، ابن كثير ج١٢، تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن ج٤،٣،٢، تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري، ج٣، تاريخ الخلافة العباسية، للدكتور يوسف العش.

ووجد في هذا العصر التناقض بين الترف المادي والبذخ و الإسراف عند فئات وطبقات، والبؤس والفقر والمظالم عند فئات أخرى، حتى وصلت إلى صاحبنا القاضي عبد الوهاب، فعضه الفقر بأنيابه حتى اضطر أن يرحل عن بغداد للفاقة التي أصابته، كما انتشر في هذا العصر الغناء ومجالس الطرب والموسيقى والعزف في القصور، وتفشت الرذيلة في العراق، وفشا شرب الخمر، وكثرت المواخير والحانات، وانحلت الأخلاق بين الفئات الحاكمة والمستغلة ورجال الجيش[2] .

ثالثا: الناحية العلمية والثقافية والحضارية

كانت هذه الناحية معاكسة تماما للنواحي السياسية والاجتماعية، ويعتبر القرن الرابع الهجري والخامس اللذان عاش فيهما القاضي عبد الوهاب منه أزهى العصور الإسلامية فكريا وثقافيا وحضاريا، وفي مجال الفقه وأصول الفقه وسائر العلوم الشرعية والأدبية والعلمية والإنسانية، حتى سميت هذه الفترة بالعصر الذهبي بالنسبة للثقافة والعلوم الإسلامية، واستمر العلماء يجوبون البلاد، ويكسفون المجاهيل، ويتزودون بالمعارف، ويقدمون البحوث، ويحققون النتائج، ويقطفون الثمار اليانعة، ويقدون للإنسانية قطوفا دانية شهية في جميع مجالات الحضارة والثقافة والعلم، وفي مجال الترجمة ونقل الثقافات والعلوم عن الأمم الأخرى.

فالفقه الإسلامي- مثلا- بلغ مرحلة النضوج الكامل، واستقرت المذاهب الفقهية، وظهرت المدونات في كل مذهب، مع التأصيل الفقهي، وتقعيد القواعد، وكان الاجتهاد على أشده، واكتمل علم أصول الفقه، ونشط علم الخلاف (الفقه المقارن) وكان في أسمى صوره، يعرض الآراء

٢- أنظر: الحضارة الإسلامية ج١ص١٣، ظهر الإسلام ج١ص٩٠ وما بعدها، ضحى الإسلام ج١ص١٧ وما بعدها، رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن الندوي ص٦٦ وما بعدها.

والأدلة والبراهين والمناقشة والتأصيل والترجيح[3] وعجت المدن الإسلامية في مختلف الأقطار بكبار الفقهاء والعلماء والمجتهدين والمفسرين واللغويين والمترجمين وعباقرة الإسلام ومفكريه وفلاسفته.

("السيرة الشخصية للقاضي عبد الوهاب")

المطلب الثاني: اسمه ونسبه

هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون ابن أمير العرب، مالك بن طوق التغلبي البغدادي العراقي، المالكي[4]، اشتهر بلقب القاضي، وهو ينتسب إلى قبيلة تغلب، وهي من القبائل المعروفة على أوائل حدود الشام من أرض العراق مدفن سلفه.

المطلب الثالث: مولده

ولد القاضي عبد الوهاب ببغداد سنة 362ه/973م، وحدد ذلك ابن خلكان بدقة، ونقله عنه ابن العماد، فقال: "كانت ولادته ببغداد يوم الخميس سابع شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة[5].

٣- سمى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم على هذه المرحلة في المذهب المالكي بدور التطور، وذلك من بداية القرن الرابع الهجري، وفيه مراحل التفريع والتطبيق والترجيح، ويتسم بظهور نوابغ المالكية الذين فرعوا وطبقوا ومن ثم رجحوا وشهروا، وتنتهي هذه المرحلة بنهاية القرن السادس الهجري. أنظر: اصطلاح المذهب عند المالكية، ص٣٤، ١٨١.

٤- أنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ج٧ص٢٢٠، الديباج المذهب: ج٢ص٦٢، شجرة النور الزكية: ص١٠٣، سير أعلام النبلاء: ج١٧ص٤٢٩، شذرات الذهب: ج٣ص٢٢٣، وفيات الأعيان: ج٣ص٢٢٠، وغيرها.

٥- وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢ص٤٦٩، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ج٣ص٢٢٣.

المطلب الرابع: نشأته

نشأ القاضي عبد الوهاب في بغداد، وهي مدينة العلم والعلماء، كما نشأ في أسرة علم، "فقد كان أبوه من أعيان الشهود المعدلين ببغداد، أي شهود التزكية، وهي طائفة من الناس يتميزون بالعدالة مع الفطنة والنقد، ولهم معرفة بأفراد المجتمع، ويستعين بهم القضاة لمعرفة أحوال الشهود لقبولهم في القضاء أو ردهم، وتوفي الوالد يوم السبت في 2 رمضان سنة 391ه"[6]، وكان أخوه محمد بن علي، أبو الحسن، أديبا فاضلا، من الشعراء المذكورين، ولي كتابة الإنشاء لجلالة الدولة، ثم نفذه رسولا له، ولد سنة 372ه، ومات بواسط سنة 437ه، وكان قد صعد إليها من البصرة، فمات بها[7].

لم يعين علماء التراجم تفاصيل نشأته وتربيته وتعلمه، لكن تدل المصادر على أن معيشته كانت متواضعة، وأنه لقي الصعوبات المالية في حياته، ويدل الحال على أنه طلب العلم في مدارس بغداد، وتأثر بجوها العلمي، وقصد مشايخها، حتى نبغ وصار عالما، لأنه كان مؤهلا بالذكاء والمواهب الفطرية التي منحها الله تعالى له، حتى بلغ شأوه، قال ابن كثير: "وأقام ببغداد دهراً"[8]، وسبب تلك الصعوبات المالية، أنه آثر دينه على دنياه، فلم يمتهن أو يبيع في أسواق الخلفاء وبلاط الأمراء، كما هو شان بعض العلماء في زمانه[9].

---

[6]- وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢ص٣٨٩، شذرات الذهب: ج٣ص٢٢٥، الإتحاف: ج١ص١٠.

[7]- وفيات الأعيان: ج٢ص٣٨٩، شذرات الذهب: ج٣ص٢٢٥، الديباج المذهب:ص١٦٠، وذكر ابن فرحون رحمه الله في "الديباج" أنه توفي سنة ٤٣٠ه، وهو خلاف ما ذكره المؤرخون.

[8]- أنظر: البداية والنهاية: ج١٢ص٣٢، وانظر المراجع السابقة في اسمه ومولده، المعونة، مقدمة التحقيق: ج١ص٢٤، الإتحاف: ج١ص١٠٣.

[9]- التلقين في الفقه المالكي، للقاضي عبد الوهاب البغدادي، تحقيق سيد زكريا صباغ: ص٢١.

المطلب الخامس: شيوخــه

قيل للقاضي عبد الوهاب: مع من تفقهت؟ قال: صحبت الأبهري، وتفقهت مع أبي الحسن بن القصار، وأبي القاسم بن الجلاب، والذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم القاضي أبو بكر الطيب – يقصد الباقلاني[10].

هذا النص يعتبر تلخيصا لأهم الفقهاء والعلماء الذين أخذ عنهم القاضي عبد الوهاب مختلف العلوم، وكانوا عمدة تكوينه ليحظى بشرف القضاء وينال تلك المرتبة الأسمى، لذا سنقدم نبذة مختصرة عن حياتهم:

1: أبو بكر الأبهري: هو محمد بن عبد الله بن صالح بن عمر، أبو بكر الأبهري، التميمي القاضي، الفقيه المالكي، المقرئ، الأصولي، الحافظ، ولد بأبهر(بين قزوين وزنجان) سنة289ه/901م وسكن بغداد، وحدث بها، روى عن أبي عروبة الحراني، ومحمد بن الحسن الأشناني، وابن أبي داود، وكثير من البغداديين وسواهم، وتفقه على يديه خلق كثير منهم القاضي عبد الوهاب الذي أخذ الفقه عنه وحدث عنه وأجازه[11]، وأمضى أبو بكر الأبهري ستين سنة يدرس الفقه المالكي في العراق ويفتي وينجب العلماء، وصنف المصنفات الكثيرة المهمة في شرح مذهب الإمام مالك والاحتجاج له، والرد على من خالفه، وانتهت إليه رئاسة المذهب

---

[10]- المرجع السابق: ص٢١.

[11]- ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن القاضي عبد الوهاب رأى القاضي الأبهري ولم يسمع منه، لكن نقل القاضي عياض عن الفقيه أبي الفضل أنه أنكر ذلك، وقال: غير صحيح، بل حدث عنه وأجازه. طبقات الفقهاء:ص١٤٣، ترتيب المدارك: ج٢٦٩٢، وانظر سير أعلام النبلاء: ج١٧ص٤٣١، شذرات الذهب: ج٣ص٢٢٣.

المالكي في عصره، وله كتاب إجماع أهل المدينة وكتاب الدلائل والعلل، توفي ببغداد سنة 375ه/985م[12].

2: أبو الحسن ابن القصار: هو علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن، المعروف بابن القصار، الفقيه المالكي، القاضي، تفقه بأبي بكر الأبهري، وأخذ العلم عنه ابن عمروس، وأبا ذر الهروي وجماعته، وتفقه عليه القاضي عبد الوهاب، ولي قضاء بغداد، وله كتاب في مسائل الخلاف(وهو كتاب فقه مقارن) وكتاب عيون الأدلة، وهو كتاب فقه مقارن بأسلوب سهل. قال الشيرازي رحمه الله:" لا أعرف لهم كتابا في الخلاف أحسن منه" وله كتاب" المقدمة في أصول الفقه" وتوفي سنة398ه/1008م، وقيل 397ه[13].

3: ابن الجلاب: هو عبيد الله بن الحسين بن الحسين بن الجلاب، وكان من أفقه أصحاب الأبهري، وأحفظهم، وعنه أخذ العلم، وتتلمذ على يديه القاضي عبد الوهاب البغدادي وتفقه عليه، وكذا أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن إسحاق الطالبي البصري. من مؤلفاته كتاب "التفريع" المشهور الذي ينقل عنه المالكية كثيرا[14] وله شرح على المدونة[15].

4: القاضي الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، البصري، سكن بغداد، ودرَّس فيها ردحا من الزمان، القاضي، الفقيه المالكي، الأصولي، المتكلم، المحدث المناظر، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، وهو من كبار علماء الكلام على مذهب أهل السنة، وأهل الحديث، وطريقة الأشعري.

١٢-ترتيب المدارك للقاضي عياض: ج٢ص٦٩٢، شذرات الذهب: ج٣ص٨٥، تاريخ بغداد: ج٥ص٤٦١.

١٣-ترتيب المدارك للقضي عياض: ج٢ص٦٠٢، الديباج المذهب لابن فرحون: ص١٩٩، شجرة النور الزكية: ص٩٢، طبقات الفقهاء للمراغي: ١٦٨، تاريخ بغداد: ج٢ص٤١، شذرات الذهب: ج٣ص٢٢٣، اصطلاح المذهب عند المالكية لإبراهيم علي: ص٢٦٠.

١٤- حققه الدكتور حسن الدهماني في مجلدين، ونشرته دار الغرب الإسلامي.

١٥- يوجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين برقم ٧٩٩، ونسخة أخرى في الرباط برقم ١٤٤٧.

أخذ الأصول على أبي بكر بن مجاهد، والفقه على الشيخ أبي بكر الأبهري، وتتلمذ على يديه خلق كثير، كان منهم الأئمة والأعلام، كالقاضي عبد الوهاب البغدادي، وعلى بن محمد الحريري، وأبي عبد الله الأزدي، وأبي طاهر الواعظ، ومن أهل المغرب أبو عمر سعدي، وأبو عمران الفاسي، قال القاضي عياض رحمه الله عن القاضي عبد الوهاب: "ودرَس الفقه والأصول والكلام على القاضي أبي بكر الباقلاني وصحبه[16].

المطلب السادس: تلامذته

جمع القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين التأليف والقضاء والتدريس، وكان غالب تدريسه وتخصصه في الفقه وعلم الخلاف (الفقه المقارن) وأصول الفقه، وحدَّث قليلا، واخذ كثير من طلاب العلم عنه[17].

ونذكر أربعة من أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه، وحدثوا، ثم نبغوا في مجموعة من العلوم والفنون، فكانوا أعلاما يضرب بهم المثل، وهم:

1: الخطيب البغدادي: وهو أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث، المؤرخ، الفقيه الشافعي، ولد في غُزية، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة سنة 392ه/1002م ونشأ في بغداد، وتوفي بها سنة 463ه/1072م، وطلب الحديث من الصغر، وصرح بالأخذ عن القاضي عبد الوهاب ووثقه وقال: "حدث بشيء يسير، كتبت عنه، وكان ثقة"

١٦- ترتيب المدارك للقاضي عياض: ج٢ص٦٩٢.
١٧- تاريخ قضاة الأندلس: ص٤١.

وروى عنه حديثا بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأبعد الأبعد إلى المسجد أجرا"[18].

من كتبه "تاريخ بغداد" وهو أفضلها، و"الكفاية في علم الرواية" في مصطلح الحديث فريد من ناحية المنهج والموضوع، و"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، في عشر مجلدات، و"تقييد العلم"، و"شرف أصحاب الحديث"، و"الفقيه والمتفقه"، و"الرحلة في طلب الحديث" وغيرها من الكتب المهمة التي ألفها الخطيب البغدادي رحمه الله.

2: أبو إسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف، الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الفيروز آبادي، الفقيه الشافعين الأصولي، النظار، ولد بفيروز آباد بفارس سنة 393ه/1003م، ونشأ بها، ثم دخل شيراز وتفقه بها ونسب إليها، ثم رحل إلى البصرة، ودخل بغداد سنة 415ه، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري والقاضي عبد الوهاب المالكي وقال عنه: "أدركته وسمعت كلامه يناظر، وله كتب كثيرة في الفقه" وكان يضرب المثل بالشيرازي في الفصاحة والمناظرة.

وصفه النووي رحمه الله تعالى بعبارات رائعة وصفات سامية، وكانت الطلبة يرحلون إليه من المشرق والمغرب، وتُحمل إليه الفتاوى، واشتهر بقوة الحجة في المناظرة، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد، فدرس فيها، وعاش فقيرا صابرا ينظم الشعر، مات ببغداد سنة 476ه/1083م وصلى عليه الخليفة المقتدي العباسي، وإذا أطلق الشيخ في كتب الشافعية فهو المراد، وكان شيخ الشافعية ببغداد، ألَّف التصانيف النافعة المفيدة المشهورة، منها

١٨- تاريخ بغداد: ج١١ص٣١-٣٢.

التنبيه والمهذب في الفقه، واللُّمع، والتبصرة، وشرح اللمع في أصول الفقه، والملخص، والمعونة في الجدل والنكت في الخلاف، وطبقات الفقهاء وغيرها[19].

3: أبو الفضل الدمشقي: مسلم بن علي بن عبد الله، أبو الفضل الدمشقي، كان ملازما لشيخه القاضي عبد الوهاب في الصحة والخدمة، حتى عُرف بغلام عبد الوهاب، كان فقيها مالكيا مشهورا، له كتاب الفروق، وهو معروف، ودرس، وأخذ عنه الناس[20].

4: ابن عمروس: محمد بن عبد الله بن أحمد بن عمروس ولد ببغداد سنة 372ه/982م شيخ المالكية، وإليه انتهت الفتوى ببغداد، وكان من كبار المقرئين، وفقيها وأصوليا، وله تلاميذ كثر. كان من حفاظ القرآن، وكان ثقة دينا مشهورا، أخذ عن القاضي عبد الوهاب، وأخذ عنه أبو الوليد الباجي، والخطيب البغدادي، وله تعليق في الخلاف، كبير ومشهور، ومقدمة في أصول الفقه، وتوفي ببغداد سنة 452ه/ 1060م[21].

كما أخذ عنه جماعات كثيرة منهم: عبد الحق بن هارون الفقيه الصقلي، وأبو عبد الله المازري الذي لم يكن للمالكية في عصره أفقه منه، وقد قام بشرح كتاب "التلقين" في أربعة أجزاء، ومنهم أبو بكر الخطيب البغدادي (الذي سبقت ترجمته)، وكثير غيرهم من أئمة المالكية[22].

١٩- طبقات الشافعية الكبرى: ج٤ص٢١٥، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج١ص٩، تهذيب الأسماء: ج٢ص١٧٢، تبيين كذب المفتري: ص٢٧٦، البداية والنهاية: ج١٢ص١٢٤، شذرات الذهب: ج٣ص٣٤٩.

٢٠- ترتيب المدارك للقاضي عياض:ج٢ص٧٦٥، المعونة، مقدمة التحقيق: جً١ص٣٩، ولم تذكر المراجع تاريخ وفاته.

٢١- ترتيب المدارك: ج٢ص٧٦٥، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف: ص١٠٥، طبقات الفقهاء للشيرازي: ص١٦٩، تبيين كذب المفتري لابن عساكر: ص٢٦٤.

٢٢- التلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب، تحقيق: سيد زكريا الصباغ: ص٢١-٢٢.

المطلب السابع: توليه منصب القضاء

اشتغل القاضي عبد الوهاب بالقضاء في العراق مدة من الزمن؛ حتى صار علما يلقب به كلما ذكر عند الباحثين، وهذا المنصب تولاه جل الفقهاء والعلماء ممن تقدم وتأخر، وذلك "أن القضاء رتبة شريفة، ومنزلة منيفة، رفيع قدره، عظيم أمره، شديد خطره، إليه يفزع المتخاصمون، ويهرع المتنازعون، طلبا لإحقاق الحق، وإنصاف المظلوم، والقصاص من الظالم، تولاه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وقام به أئمة العدل من بعده"[23].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى عن شيخه القاضي عبد الوهاب: "ولي قضاء بَادَرايا وباكسايا وهما من أعمال العراق، كما نقلت كتب التراجم أن القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى تولى القضاء في مناطق أخرى في عدة مدن في العراق وما يتصل بها، وبقي قاضيا مدة طويلة، حتى اشتهر بلقب القاضي، إما لطول فترة تولية هذا المنصب الجليل والمهم والخطير والحساس والمقدس، مع انتقاله من جهة إلى أخرى في أنحاء العراق وفارس ومصر، وإما لإطلاق فقهاء المالكية قال القاضي، أو ذهب القاضي إلى كذا، فهو المعنيُّ دون سواه، مع كثرة القضاة غيره.

وكان منصب القضاء من أعلى المناصب والرتب، ويحتل المكانة العليا في المجتمع، وكان القضاء المسلمون يختارون من جلة الفقهاء والعلماء، ويؤدون رسالتهم على أسمى وجه، ولا يخافون لومة لائم، ويفرضون احترامهم على الرعاة والرعية، ويُشار لهم بالبنان، ويضربون المثل الأعلى في النزاهة والعدالة والتجرد، وهذا ما يضفي التقدير للقاضي عبد الوهاب رحمه الله

[٢٣]- مفاتح علم القضاء في الفقه المالكي، للدكتور عبد الله غازيوي: ص٣.

تعالى. ولكنه لم يترك كتابا خاصا بالقضاء، ولم تفرد سيرته وأقضيته بالبحث والجمع والدراسة، كما لم ينله أحد بسوء أو مأخذ في عمله.

ولما رحل القاضي عبد الوهاب إلى مصر تولى القضاء بها، وبقي قاضيا حتى توفي فيها سنة 422ه، ولو كان ذلك لمدة قصيرة[24].

المطلب الثامن: صفاته وفضائله

اتصف القاضي عبد الوهاب كغيره بصفات حميدة، وفضائل جمة، تتناسب مع علمه، ويتجمل بها العلماء والفقهاء والمحدثون، أهمها الورع عن محارم الله، والتقوى بالتزام شرعة الله التي لا مناص لأي عالم عنها، واتصف بالكرم والسخاء فكان كريما جوادا منفقا لماله على طلاب العلم، حيث قال: "ولقد ترك لي أبي جملة دنانير ودراهم أنفقتها كلها على صعاليك من كان ينهض بالطلب عندي"[25]، وكان صبورا على الحال التي يعانيها، ومتعففا عما في أيدي الناس، وكان شجاعا في مواجهة الحكام في التزام الشرع وإقامة العدل ومنع المظالم شانه في ذلك شان قضاة العدل لا يخافون في الله لومة لائم، وكان عابدا زاهدا متأدبا ثقة، وكان كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة، أديبا[26].

قال عنه الخطيب البغدادي: "لم نلق من المالكيين أفقه منه، وقال أيضا: كان حسن النظر، جيد العبارة.

٢٤- ترتيب المدارك: ج٢ص٦٩٢، حسن المناظرة: ج١ص٣١٤، تاريخ بغداد: ج١١ص٣١، الإتحاف، مقدمة التخريج: ج١ص١٢٩، وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢ص٣٨٧، الديباج لابن فرحون: ص١٥٩.

٢٥- ترتيب المدارك للقاضي عياض: ج٢ص٢٩٣.

٢٦- أنظر: الإتحاف، مقدمة التخريج: ج١ص١٣٢، المعونة، مقدمة التحقيق: ج١ص٣٢، ومراجع ترجمته.

ونقل ابن بسام قوله: "بلغني عن ابن حزم أنه كان يقول: لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم" وقال غيره: "كان شيخ المالكية في عصره وعالمهم" وقال عنه ابن القيم: "القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق من كبار أهل السنة رحمهم الله تعالى"[27] .

وجمع القاضي عبد الوهاب بين أهم علوم الشريعة، وهي الفقه، وأصول الفقه، وعلم الخلاف (الفقه المقارن) والحديث، فتنوعت معارفه، فهو فقيه، وأصولي، ومحدث، وأديب، وشاعر، وهذا يتفق مع تنوع الثقافة والمعرفة في عصره، واخذ عن كثير من شيوخ الحديث أكثر تبعا لميله ورغبته واستعداده للفقه والأصول، وظهر ذلك في مؤلفاته. وكان القاضي عبد الوهاب أحد أركان المدرسة العراقية للمذهب المالكي، وأحد دعائمها، ولكنه كان آخر من يمثل هذه المدرسة، وآخر العلماء الكبار من المذهب المالكي في العراق[28].

المطلب التاسع: كتبه ومؤلفاته

جاءت كتب القاضي عبد الوهاب البغدادي رحمه الله تعالى متنوعة في مختلف العلوم الشرعية، منها ما ثبتت نسبته إليه، وبعضها معزو إلى اسمه مع الشك في صحة نسبته، وقد قاربت الثلاثين؛ وهي كالآتي:

١. التلقين، أو تلقين المبتدي وتذكرة المنتهي (في الفقه المالكي).

٢. المعين على كتاب التلقين، وهو شرح للمؤلف نفسه للتلقين لكنه لم يتمه.

٢٧- التلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب: تحقيق د سيد زكريا الصباغ: ص٢٢.

٢٨- المعونة، مقدمة التحقيق: ج١ص٥٩.

٣. شرح المدونة، لكنه لم يتمه أيضا.

٤. النصرة لمذهب إمام دار الهجرة.

٥. شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

٦. المعونة على مذهب عالم المدينة، وهو مرجع مهم في الفقه المالكي المدلل، فهو بمثابة دعامة للفقه المالكي من حيث التدليل والتوجيه والتعليل للمسائل الفقهية.

٧. عيون المسائل، وهو في الفقه أيضا، وقد طبع.

٨. الإشراف على نكث مسائل الخلاف.

٩. النظائر في الفقه.

المطلب العاشر: وفاته

بعد هذه الحياة الزاخرة بالعلم؛ أفل نجم القاضي عبد الوهاب، ذلك أنه لم يعمر طويلا، ولكن عمره العلمي والأدبي والمعنوي والفكري كان جليلا وطويلا، فغاب جسمه وبقيت روحه الطاهرة مع علمه النافع وذكراه العطرة، ونفَسُهُ الطيب حتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، وتتردد أقواله وآراؤه في الكتب ومجالس العلم. وينقل العلماء جيلا عن جيل من كتبه التي شهدت بطول باعه في الفقه المالكي ما يكون أثرا طيبا يستحق به الرحمة والثناء **(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)** سورة ياسين/11، قال الشاعر:

دقات قلب المرء قاتلة　　　إن الحياة دقائق وثـــــــــــــــوان

لم تَطُل مدة إقامة القاضي عبد الوهاب بمصر، فقد توفي بعد مقدمه إليها بقليل، وكان ذلك سنة 422ه وقيل: إن سبب وفاته أنه مرض من أكلة اشتهاها، وحين الوفاة ذكروا أنه كان يتقلب ويقول: "لا إله إلا الله، لما عشنا متنا". ودفن بالقرافة قريبا من قبر الإمام الشافعي وابن القاسم وأشهب، رحم الله الجميع[29] .

وفي الختام أقول:

إن القاضي عبد الوهاب دافع عن المذهب المالكي وحمل لواء العلم، واتسم بشيخ المالكية في العراق وخاصة بغداد، تلك الحاضرة التي أنجبت فقهاء وعلماء مثل القاضي إسماعيل بن حماد الذي ذاع صيته في العراق وخارجها، نظرا لما تميز به المالكية على مر العصور والأزمنة من حسن التأصيل وفطانة التفريع وقوة الاجتهاد، حتى قيل: "لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب المالكي، فالشيخان: ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهري، والمحمدان: محمد بن سُحنون ومحمد بن المواز، والقاضيان: أبو محمد عبد الوهاب وأبو الحسن بن القصار البغداديان"[30].

والحمد لله رب العالمين.

٢٩- التلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب: ص٢٣.
٣٠- ترتيب المدارك: ج١ص٥٣، الديباج المذهب: ج١ص٩٥.